محاربة الثأر في حضرموت

قراءة في كتاب (إحلال السلام في حضرموت)

■ من بين كم الكتابات التي تتعلق باليمن تارخياً وحاضرا تكاد الكتابة الاستخلاصية للتجارب الناجحة أن تكون نادرة، وتنحصر الكتابة التاريخية في اليمن غالباً في اللغة الثأرية مع التاريخ أو اللغة التمجيدية الممجوجة، لهذا يأتي كتاب « إحلال السلام في حضرموت.. دراسة تاريخية لتجربة حضرموت في القضاء على الثأر القبلي 1933م- 1953م» للأستاذ عبدالعزيز بن علي بن صلاح القعيطي ليمثل لغة - ليست جديدة- ولكنها نادرة، حيث يتتبع المؤلف مرحلة تاريخية هامة، في منطقة جغرافية غاية في الأهمية بالنسبة للجزيرة العربية عموماً ولليمن على وجه الخصوص، وتنبع أهمية الدراسة من الحاجة الى تمثل عناصر فيها في واقعنا اليمني اليوم.

جمال محمد الجعبي

من هو المؤلف:

قبل الخوض في محتويات الكتاب، يجدر بنا التوقف أمام شخصية المؤلف، لأسباب عديدة من أهمها العلاقة التي تربط المؤلف بمنطقة الأحداث في الكتاب، واللغة النقدية التي لا تخلو من الواقعية والانصاف، وهي مواصفات لا تتواجد بكثرة في المؤلفات التي يكون أطرافها متلامسين مع المنطقة وأحداثها، وهذه اللغة التي امتاز بها المؤلف، تكررت في كتاب آخر تناول فيه المؤلف شخصية والده السلطان/ علي بن صلاح القعيطي، فالقراءة للأحداث لدى المؤلف لا تتم خارج سياقها التاريخي والسياسي، ولا تنفصل هذه القراءة للأحداث عن الأبعاد الشخصية للأطراف، وهو ما يبعد القداسة والصورة المثالية للشخوص، كما أنه لا يتجاهل البعد الإنساني لصانعي الأحداث وموضوعها.

المؤلف هو السفير السابق الأستاذ عبدالعزيز بن علي بن صلاح القعيطي، وهو الابن الأصغر للسلطان علي بن صلاح القعيطي، حاصل على دبلوم زراعة من القاهرة، والماجستير في العلوم السياسية من الأكاديمية الدبلوماسية بموسكو، عمل في السلك الدبوماسي لأكثر من ٢٥ سنة، وقبل اعلان الوحدة اليمنية ١٩٩٠م استدعاه فخامة الأخ الرئيس علي عبدالله صالح للعمل كمدير لمراسم دولة الوحدة، وفي ١٩٩٢م منح درجة وزير بوزارة الخارجية، وفضل بعدها التقاعد والتفرغ للعمل التجاري الخاص. وأخيرا صدر للمؤلف كتاب بعنوان ربع قرن في الدبلوماسية ١٩٦٩-١٩٩٤م» .

المقدمة والتمهيد:

قدم للكتاب الاستاذ/ عبدالقادر باجمال واستطاع في المقدمة أن يعكس الأهمية التي يمثلها الكتاب، وسلط الضوء على مشكلة الثأر التي نواجهها اليوم، ومما خطه الأستاذ عبدالقادر باجمال في المقدمة «إن (الثأر) دمار للحياة الإنسانية ولأمن الناس واستقرارهم: ولهذا فإن الدعم الاجتماعي والجماهيري لقضية حل مشكلته أصبح ثقافة شعبية وميلاً نفسياً وعقلياً، وشعوراً إنسانياً عقلانياً صادقاً، ولأن الحياة ليست روحاً ومشاعر بحته، فإن المال والهبات المادية تحقق التسويات وتضع البدائل للانتقام والثأر واستمرار هذه الدورات الدموية المخيفة على الناس أجمعين «ولا تخلو المقدمة من توصية بقراءة الكتاب « للإستفادة منه في تمثل الحال الحاضرة في قضية الثأر في اليمن الحبيب».

التمهيد للكتاب كان بقلم الأستاذ الدكتور محمد سعيد القدال الذي أشرف على الكتاب وقام بمراجعته، ومن المواقف الإنسانية المؤثرة أن الأستاذ القدال وهو من السودان الشقيق قد توفي قبل أن يخرج الكتاب من المطبعة، وهو ما دعى المؤلف الى توجيه الشكر للمرحوم والعزاء لأسرته.

وفي التمهيد يقدم الدكتور القدال بعض دوافع المؤلف للتصدي للموضوع وبحثه، بالإضافة إلى الصعوبات التي واجته، سواء من حيث البعد التاريخي لحل مشكلة الثأر وارتباطها بالوجود والسياسة الاستعمارية البريطانية، ولكنه لا ينسى أن يربط التجربة بعمقها التاريخي بالحاضر وأهمية الاستفادة منها في اليمن الموحد ذلك أنه كما يقول الأستاذ القدال «عندما بدأ -المؤلف- في الدراسة، وتحققت الوحدة اليمنية المباركة أصدر فخامة رئيس الجمهورية علي عبدالله صالح مرسوماً دعا فيه لمحاربة الثأر، فكانت المصادفة عاملاً مشجعاً».

مكونات الكتاب:

يتكون الكتاب من ثلاثة أجزاء هي خلفية تاريخية ووثائق مهمة مخطوطة وفي الجزء الثالث يعيد المؤلف نشر الوثائق المنتقاة في الجزء الثاني بشكل مطبوع يسهل عملية القراءة لمضامين الوثائق.

في الجزء الأول يتناول المؤلف خصوصية وخصائص حضرموت وطبيعة الصراع السياسي الذي وجد في ظله الصراع القبلي،حيث قسمها الى خمس مظاهر هي الجغرافيا والتراتب الاجتماعي والمهجر وبروز حكام مستنيرين، والاستعمار البريطاني.

يقرأ المؤلف خارطة الصراع القبلي وأماكن تنامي ظاهرة الثأر حيث ترتكز في المناطق الجبلية الصحراوية أكثر منها في المناطق السهلية أو الساحلية. بينما « تجمع المنطقة الوسطى خليطاً بين الاثنين،وبذلك هيأت الجغرافيا المسرح للصراع القبلي».

ويربط المؤلف بين أحداث الماضي والحاجة الحاضرة لمواجهة ظاهرة الثأر، حيث يقول « وما زالت مشكلة الثأر تؤرق بعض جوانب المجتمع اليمني، فقد وجه فخامة الرئيس علي عبدالله صالح بتشكيل لجنة وطنية عليا ولجان فرعية في المحافظات التي بها قضايا ثأر، وذلك لحصر قضايا الثأر وتوضيح أسبابها واقتراح الحلول المناسبة لها، وجاء في صدر القرار الجمهوري الذي صدر يوم ٢٠٠٤/٩/٢١م مايلي: « نظراً لما تخلفه ظاهرة الثأر من آثار سلبية وسفك للدماء وما شكله هذا الموروث الاجتماعي السيئ من تهديد للأمن والسلام الإجتماعي وإعاقة لمسيرة التنمية..لهذا صدر القرار»(جريدة الثورة العدد ١٤٣٧٢،بتاريخ ٢٢ سبتمبر ٢٠٠٤م)».

ومن يتابع الظواهر الاجتماعية المختلفة يجد أنها تختلف من منطقة الى أخرى ومن ذلك ظاهرة الثأر التي تنتشر في المناطق الجبلية، حيث يرتبط انتشارها بغياب الدولة وأدواتها في تلك المناطق. وهذا يعيدنا الى المطالبات بالأتجاه نحو المناطق الساحلية والسهلية لبناء التجمعات السكانية ويسهل بناء المؤسسات ومقومات الدولة الحديثة.

وإذا بحثنا في بعض النتائج التي توصلت اليها اللجنة المشكلة من فخامة رئيس الجمهورية ولم يتناولها المؤلف في الكتاب، سوف نجد مؤشرات مؤسفة حيث يؤكد عضو اللجنة الوطنية العليا لمعالجة قضايا الثأر القاضي يحيى الماوري «على أن قضية الثأر مسئولية الجميع بشكل أساسي حيث لا يمكن معالجة قضايا الثأر عبر جهة رسمية أو شعبية الا بتعاون الجميع ،كما أن على الأحزاب إزاء ذلك مسئولية أخلاقيه بضمير إنساني لا بضمير سياسي ومحاولة إلصاقها بطرف دون الآخر سواء من الحزب الحاكم أو أحزاب المعارضة، وبحسب معلومات صادرة عن وزارة الداخلية ان ظاهرة الثار أودت بحياة ٤,٦٩٨ شخصاً بين عامي ١٩٩٨م و٢٠٠٨م وعدم معرفة أرقام حديثة عن عدد قتلى الثأر بسبب عدم صدور أية إحصائيات رسمية عن حوادث القتل بدافع الثأر وضحايا النزاعات في العامين الماضيين. وأشار التقرير إلى أن نسبة عالية من الأمية تنتشر في المحافظات الذي ينتشر فيها الثار حيث «يعاني ٥٦٪ من ذكورها و٧٠٪ من إناثها من الأمية». كما أفادت إحصائيات عام ٢٠٠٩م الصادرة عن الجهاز المركزي للإحصاء أن عدد سكان المحافظات الثلاث يبلغ ١,٣ مليون نسمة، ٦٣٪ منهم يعانون من الأمية مقارنة بالمتوسط الوطني البالغ ٤١٪.

وأرجع التقرير أسباب ظاهرة الثأر في اليمن على سبيل المثال وليس الحصر إلى جهل بعض اليمنيين بالشريعة الإسلامية، واستمرار وجود بعض العادات والتقاليد السيئة في المناطق التي تكثر فيها هذه الظاهرة أكثر من غيرها وغياب الدولة في بعض المناطق، إضافة إلى وجود بعض المسؤولين المتمردين على قوانين الدولة من أبناء هذه المناطق القبلية بالذات بالإضافة إلى تدني نسبة التعليم والخدمات العامة في هذه المناطق.

في الجزء الثاني: قام المؤلف بتقسيم الكتاب الى تسعة فصول هي:

× المعاهدات والأحلاف القديمة، ويعطي المؤلف صورة عن الحاجة الملحة لأنهاء ظاهرة الثأر والرغبة لدى كل الأطراف في حضرموت للقضاء على هذه الظاهرة ولكن عدم نجاح تلك الجهود لأسباب متعددة لم تفصح الوثائق عنها بصورة تفصيلية ولكنها تمثل مادة خصبة للباحثين وخاصة المهتمين بعلم الاجتماع والذين يملكون الأدوات المهنية للتحليل لمعرفة العوامل التي أعاقت إنهاء ظاهرة الثأر في بداياتها.

× مراسلات ووثائق تمهد للصلح العام والإصلاح، وفي هذا القسم يورد المؤلف رسالة تحمل دلالات بالغة عن الدور الذي يمكن أن يلعبه المغتربون في مساعدة وطنهم بحيث ترد رسالة موجهه من الجمعية الكثيرية في جاوا (اندونيسيا) إلى السلطان علي بن منصور الكثيري تحمل تاريخ ٩ نوفمبر ١٩٣٤م وفيها تنقل الرسالة قرار الاجتماع العمومي للجمعية العمومية بتشكيل لجنة وطنية اسمها (لجنة الاصلاح الوطني) تتلخص مهمتها في ثلاثة مشاريع هي: -

١- ارسال وفد الى حضرموت للسعي وراء الاصلاح العام بين السكان.

٢- إقامة مدرسة داخلية ...

٣- إقامة مدارس أولية

ومن خلال الرسالة نلحظ الربط المنطقي بين السعي وراء الاصلاح العام بما يتضمنه من إنهاء ظاهرة الثأر وبين التعليم وإقامة المدارس، وهذا يمثل نموذجاً للدور الذي يمكن أن يلعبه المغتربون في مساعدة وطنهم في التخلص من ظواهر سلبية منغصة لأبنائه في الداخل والخارج.

× المراسلات التمهيدية للسلام، وتتناول وثائق هذا القسم المراسلات بين المستشار السياسي البريطاني في حضرموت (انجرامس) وبين السلطان علي بن صلاح القعيطي وبعض وجاهات حضرموت والمتضمنة آلية العمل والتأكيد على أهمية الإصلاح والقضاء على الثأر، وتقدم الوثائق ملاحظات لرجال حضرموت في وضع برنامج عمل لتنفيذ عملية الاصلاح.

× ماقبل معاهدات السلام، حيث تتناول بعض الوثائق تقارير اشبه بالدراسات المعتمدة على الخبرة الميدانية لبعض الشخصيات البارزة في حضرموت وفيها يتم تحليل الاوضاع في المنطقة وآلية التعامل مع قضية الثأر وما تسببه من أضرار وسلبيات على المجتمع.

× مكاتبات حول معاهدات الصلح ودور المغتربين والسادة والقبائل، يواصل المؤلف في هذا القسم التعليق على بعض المراسلات المتضمنة آراء وملاحظات متبادلة بين ممثلي الحكومة البريطانية والشخصيات الحضرمية التي تتابع محاولات الاصلاح والقضاء على الثأر.

× انذارات بالقصف الجوي في حال رفض معاهدات الصلح، تحمل مراسلات هذا القسم من الكتاب انذارات من ممثلي الحكومة البريطانية الى بعض القبائل بضرورة الالتزام بمعاهدات الصلح التي وضعت بالتنسيق بين رجال حضرموت البارزين وممثلي الاستعمار البريطاني، وتؤكد المراسلات على الجدية في امكانية القصف واستخدام القوة ضد الاطراف التي تعارض الصلح أو ترفض الالتزام به.

■ الاختلاف على معاهدة عدن والمطالبة بتعديلها: قامت الحكومة البريطانية ممثلة بوالي عدن الكولونيل ريلي في ١٩١٨م بعمل معاهدة بين السلطنة القعيطية والسلطنة الكثيرية، وكانت هذه الاتفاقية محل اعتراض من السلطنة الكثيرية لما تحمله من بنود مجحفة لصالح السلطنة القعيطية، وتظهر معاهدة عدن حالة الهيمنة والاستقواء التي مارستها السلطنة القعيطية وانعكست على مواد ونصوص اتفاقية عدن، حيث عارض السلطان الكثيري البند الخامس من الاتفاقية والتي تلزم السلطان الكثيري بعدم مراسلة حاكم عدن إلا عبر السلطان القعيطي، وتشير المراسلات والمكاتبات بين الاطراف الثلاثة السلطانين والانجليز الى عدم الرضا لدى الكثيري من بنود هذه الاتفاقية ورغبته في تعديلها. وتشير الوثائق الى شخصية محورية حينها وهو عبدالرحمن علي الجفري الذي كان يثير السلطان الكثيري على التمرد على المعاهدة وتحذير الانجليز والسلطان القعيطي منه، ولكن السلطان الكثيري بقي ملتزم لنصائح الجفري وقام بتفويضه هو والكاف لتولي امور التفاوض لاعادة النظر في اتفاقية عدن بينه وبين القعيطي.

× المعاهدات والاحلاف قبل حلف انجرامس: يورد المؤلف العديد من الوثائق المتضمنة اتفاقات بين القبائل الحضرمية سابقة للحلف أو الاتفاق الذي تبناه المستشار السياسي انجرامس، وفي هذه الوثائق تظهر المحاولات المتعددة التي قامت بين القبائل لمعالجة قضايا الثأر وايقاف نزيف الدم بين سكان المنطقة، كما يورد المؤلف مراسلات متعلقة بهذه الاتفاقيات.

× لجنة امان حضرموت: بناء على رغبة الحكومة البريطانية اتفق السلطان صالح بن غالب القعيطي والسلطان علي بن منصور الكثيري بتشكيل لجنة مؤلفة من خمسة أشخاص للعمل على تنفيذ الاصلاح بين القبائل الحضرمية وعقد صلح عام مدته ثلاثة اعوام، وتشكلت هذه اللجنة من:-

١- السلطان علي بن صلاح القعيطي

٢- السلطان عبدالله محسن الكثيري

٣- الشيخ سالم بن جعفر بن سالم

٤- الشيخ عوض بن عزان بن عبدات

٥- الشيخ عبد علوي بن علي التميمي.

وتحددت اختصاصات هذه اللجنة « بدراسة المشاكل وحلها في باطن الصلح بالاصلاحات أو التحكيم والسعي في تأسيس اصلاح مؤبد بين اهالي حضرموت».

مجموعة الوثائق في هذا القسم تضمنت برنامج عمل اللجنة وبعض المراسلات بين أعضائها وبين المستشار البريطاني انجرامس بالاضافة الى بعض محاضر اجتماعات اللجنة.

وبعد نهاية الجزء الثالث المتضمن النص المطبوع للوثائق أورد المؤلف قصيدة شعبية معارضة لاتفاقية الحماية، وهي للشاعر الشيخ صلاح أحمد الاحمدي القعيطي أرسلها من حيث يقيم في حيدرأباد وهي بتاريخ ١٩٣٧م.

ومن أبيات هذه القصيدة:

راحت جهة لحقاف لحمة فاس سرحت برود راحت مع الصاحب بلا قيمة ولا عسكر يقود

وشيدوا فيها الكنايس والبراكس للجنود آه على لوطان ياغبني على مثوى الجدود

وفيها أيضاً:

هبت على لحقاف نفلة باتيبس كل عود والبخص عالتجار والشيبان ذي فيها رقود

ما نا في التسعين عالعكاز وعيوني صهود والضيف ذي جاكم مقايس شي في العرقة صيود

أخيراً

ان الوصول الى اتفاقيات السلام في حضرموت لم تكن عملية سهلة، أو سريعة، فقد واجهت صعوبات داخلية وأخرى خارجية، واختلط فيها الدوافع الشخصية للقيادات المحلية، بالرغبة في مواجهة التدخل الاستعماري البريطاني، وتبرز في سطور الوثائق والمراسلات بين المستشار السياسي المقيم في حضرموت وحاكم عدن البريطاني وبين الحكام المحليين والوجاهات الإجتماعية البارزة تبرز الرغبات والاهواء المتعارضة ضمناً والتوافق والقبول بفكرة الصلح وانهاء ظاهرة الثأر. ولكن هذه الجهود لم تذهب هباءً، فقد تحقق السلام في حضرموت وانتهت ظاهرة الثأر فيها، وهو ما يدعونا الى البحث في مسببات النجاح والاستفادة منها في واقعنا اليوم، فالشعب اليمني يستحق أن تنتهي ظاهرة الثأر التي يكتوي بها وتؤثر على مسيرته وعطائه.

×galjaabi@hotmail.com

معادلة

ليلى الهان

١-
حبيبي كقوس قزح محترق
مصلوب على ظل حبيبته .
٢-
بين هتافنا فاصلة / مشهد /
نافذة كون .
٣-
بوجهين مغرورين يتوسل
بحذاء نصف نائمة
وفي يده علبة من الحلوى
يتقاسمها الأطفال ليختفي بين
الطائرات الورقية
لكي لا تراه حبيبته عندما يغفو .
٤-
أعشاش تقرف الناس
وتجاويف من دم ولحم على
أصابعك
ترعب بائع الياسمين والخبز .
٥-
قلبي يلوح من نافذة العذاب يسقط
سهواً إليك .
٦-
يهدر سماء حافية
ومن حولي يضع وجهه الملطخ
باللوز والزبيب وخشب من هياكل
بشرية .
٧-
غرفة مكونة من سمكة واحدة ومن
خشب وزجاج .
٨-
كان طفلاً يخفي تحت سقف مظلته
قلبها
ثم يحلمان / وظلال جسديهما في
حفرة واحدة .
٩-
كنت قد أخذته / دربته
وتعود على التلذذ معي
لينزل بعدها إلى شارع مزدحم
بالإناث
يقترض من فتنتهن ولو القليل من
اللهفة
ليعود عصراً في الخامسة
مستعجلاً
لاستعادة لهفته
كنت قد أخذته / دون أن أضطر
للمحاولة
مرة/ وثالثة / وخامسة .
١٠-
متى / وكيف / وأين
سوف يلتقي رأسي بي
ومتى يرتاح من ذاكرته المضغوطة
بالملل
وكيف يقبل وجهه المستدير إلى
الوراء
١١-
لوهلة واحدة فقط
تخلص مني

تقاسمت الهواء معه وصنعاء
ولوهلة واحدة ألمرشدي يقول
.....
ولواحدة أخرى
أقيم علاقة ودية مع نفسه
نفسه التي انهالت « كنجيب
الريحاني «ضحكاً.
١٢-
لم يدعني النسيان أكمل ما بدأته
ظل يرتكب أخطاءه يبحث فيّ عن
مخرج
لم يدعني أعلق جسدي لتجارب
علمية
النسيان ذاك لعن نفسه قبل أن
يأخذني إليه .
١٣-
حين أريدني أفضل .....!
أحب تفاصيل شهيتي على إبقائي
.....
لا تساعدني على مزاولة الغطس
ضعني في فمك لثوان
ثم استرجعني مضغةً .
١٤-
تشبهني كل النجوم / ولكن لا
يشبهني حذائي وهذه معادلة
صعبة .
١٥-
الصباح قصير جداً
لأركض إلى الحمام لغسل وجهك
قصير لتعليق أسناني على أطراف
ابتسامة حائرة .

كأنها المطر

فهد المصباحي

في ذلك اليوم الأياري
الأغر
هطل المطر
الشمس قد زفت إلى
الأرض المطر
وتعانق البر مع البحر
وأصغينا إلى وقع المطر
الله !!
كم هو رائع لحن المطر
هطل المطر
وتعالت الأصوات يا الله
وانبثق القمر
مطر مطر
ونفوسنا مشدودة الأوتار
يعزفها المطر
وبلادنا السمراء
تلبس حلة خضراء
صممها السحاب لها
وطرزها المطر
فأود لو أني أضمها ساعة
وأذوب في ذرات تربها
كالمطر
مطر مطر